الفن الفينيقي

لعمران الامم مقاييس مختلفة يقاس بها . ولعلّ المهارة في الفنون الجميلة من ادلها لان الذوق لا يرتقي واليد لا تمهر والصور الخيالية لا تنطبق على الحقيقة ولا تستجمع مقومات الجمال الاّ بعد سير الامة في سبيل العمران زمناً طويلاً ، واذا رجعنا الى هذا المقياس وجدنا ان الامة الفينيقية كانت من ارقى الامم عمراناً في التوراة وهي اقدم الكتب المعروفة الآن وصف مسهب لصناعة الفينيقيين من سكان صور وصيداء فقد جاء في سفر الملوك الاول من اسفارها الذي عهدهُ قبل التاريخ المسيحي بنحو الف سنة ان حيرام ملك صور ارسل الصناع الى سليمان ملك اسرائيل فبنوا لهُ الهيكل في اورشليم وغشوهُ بالذهب هو وما فيهِ من النقوش التي تمثل النخيل والازهار وسبكوا لهُ عمودين كبيرين من النحاس طول كلٍّ منهما ١٨ ذراعاً وعلو تاجهِ خمس اذرع وهو في شكل السوسن ولهُ سلاسل وتفاحات وغشوهُ بالذهب . الى غير ذلك مما تراهُ مفصلا في التوراة. وفيها ايضاً وصف مسهب لمصنوعات صور وصيداء ومتاجرها

وقد اطنب المؤرخون الاقدمون مثل هيرودوتس وديودورس في وصف مصنوعات الفينيقيين ونسبوا اليهم استنباط حروف الهجاء وكثيراً من مقومات العمران. لكن الوصف مهما تفنن الواصف فيهِ لا يغني عن رؤية الموصوف. ومن حسن الاتفاق ان مدافن صيداء حفظت امثلة كثيرة تمثل الصناعة الفينيقية القديمة كما حفظت مدافن مصر امثلة كثيرة تمثل الصناعة المصرية القديمة . وابدع ما حفظ في مدافن صيداء التوابيت التي اكتشفها المسيو ادمون دوريغلو في مدافن صيداء ثم استخرجها منها حمدي بك مدير متحف الاستانة سنة ١٨٨٦ وهي لملوك صيداء وللولاة الذين جاؤوا بعدهم من زمن الفرس الى ما بعد زمن الاسكندر المكدوني. وقد وقعت لنا الآن مجموعة من الصور الفوتوغرافية التي صورت بها حين اكتشافها فرأينا ان نكتب هذه المقالة في وصف تلك التوابيت

كانت التوابيت التي وجدت قبلها (وقد شاهدناها في صيداء سنة ١٨٧٠) تشبه التوابيت المصرية وهل غطاء التابوت منها رسم يمثل الميت تمثيلاً خيالياً.

ثم صارت تشبه النواويس اليونانية ويظن بعض الكتّاب المحدثين ان صناعها كانوا من اليونان. ولكن الكتّاب الاقدمين ومنهم هيرودوتس ابو التاريخ يقولون ان الفينيقيين علموا اليونانيين الفنون. وفي اشعار هوميروس دليل على ان الفينيقيين مروا بالقطر المصري واقاموا فيه مدة طويلة في اوّل تحالهم من نواحي خليج فارس الى فينيقية. فما ان يكونوا قد تعلموا من المصريين او علموهم فن النقش. ومهما يكن من ذلك فالنواويس المشار اليها آنفاً القديم منها يمثل عمل النواويس كما كان في القرن الخامس قبل التاريخ المسيحي والنقوش التي عليه تمثل نساء نادبات وصورهن منقوشة بارزة على جوانبه الاربعة وقد نقلنا رسم جانب منها في الشكل الاول المقابل فترى فيه صور نساء جميلات كئيبات. قال رسي غاردنر العالم الاثري فيما كتبه عن الفن اليوناني ان صانع هذا الناووس يظهر انه تعلم صناعة النقش في مدرسة بركسيتلس Praxiteles باثينا والمرجح انه صنع هذا الناووس لستراتون ملك صيداء الذي كان نحو سنة ٣٨٠ قبل المسيح

واحمل منه الناووس المنسوب الى الاسكندر المكدوني. ويرجح البعض انهُ صنع لهُ ليُدفن فيه ولكن غاردنر يرجح انهُ لم يصنع لهُ ولو كانت نقوشهُ تمثل معارك الاسكندر وصيدهُ. ففي يسار الشكل الثاني وهو صورة احد جوانب الناووس نرى الاسكندر راكباً وطاعناً فارساً فارسيّاً. وفي يمين الشكل صورة بارمنيو احد قوّاده. وفي وسطه قائد آخر لعلهُ كليتوس وجنود يونانيون ومكدونيون من المشاة يقاتلون جنود الفرس. وعلى الجانب المقابل صورة الاسكندر مع احد امراء الفرس في صيد الاسد كما ترى في الشكل الثالث. والذين رأوا هذا الناووس من اهل الفن يقولون ان صورهُ جمعت بين الحقيقة والخيال جمعاً لا تفوقها فيه منقوشات اخرى وصور الاسكندر فيه ادق صور عرفت لهُ حتى الآن

وقال غاردنر ان في جمع الصور المنقوشة على هذا الناووس من الدقة في القياس والسهولة في التنفيذ والمهارة في الدلالة على نتيجة المعركة قبل الوصول اليها ما يستوقف الانظار ويبهج النفوس وفي الوجوه من المعاني ما لم يستطع فن النقش في العصر السابق ان يأتي بما يماثلهُ. ولا يعلم حتى الآن من نقش هذا الناووس ولا من اي مدرسة ناقشهُ فهو فريد في بابه بل في تاريخ فن النقش القديم. والمرجح ان الصور التي على الجوانب الاربع تمثل مواقع تاريخية حقيقية

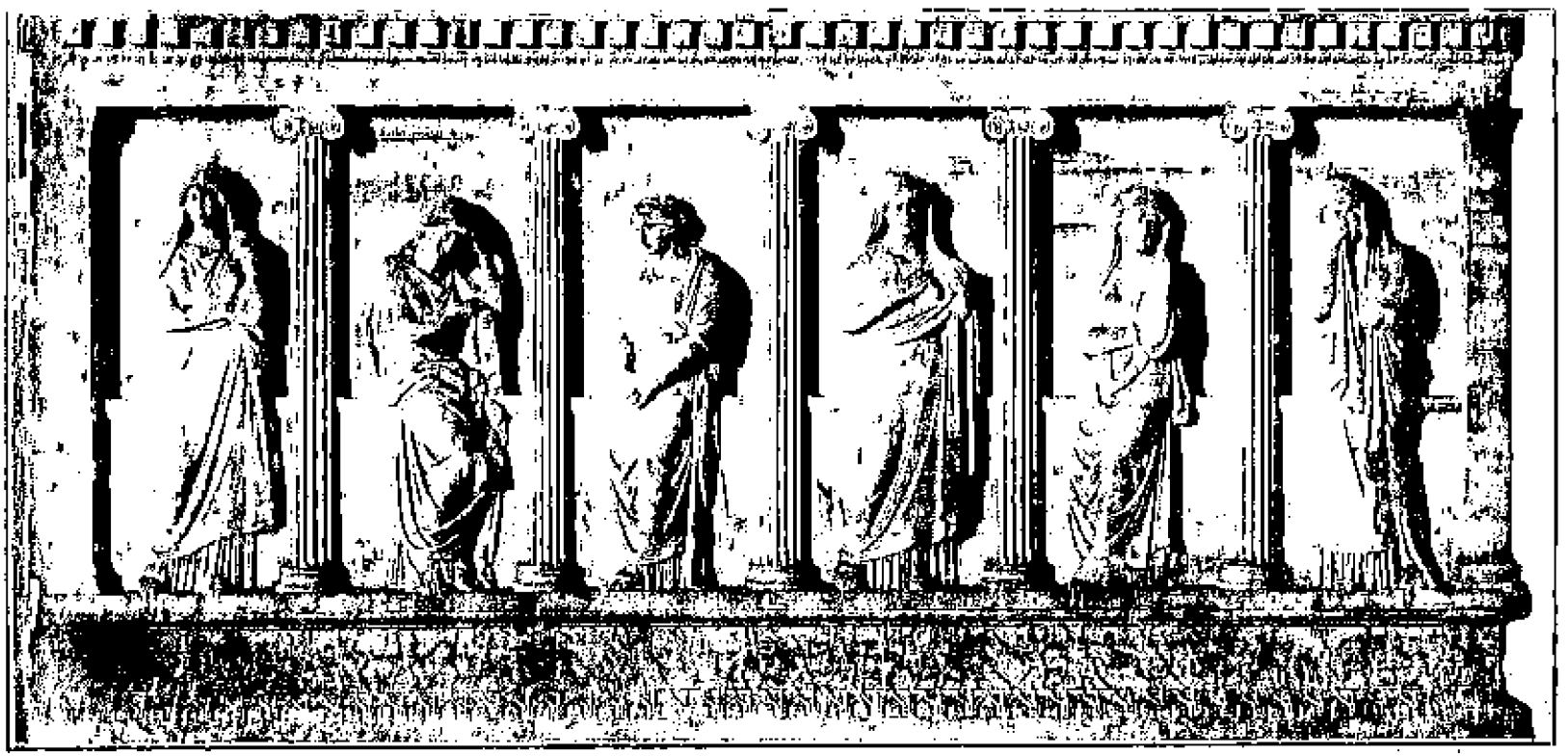

الشكل الاول صور النادبات

مقتطف فبراير ١٩٢٢
امام الصفحة ١١٢

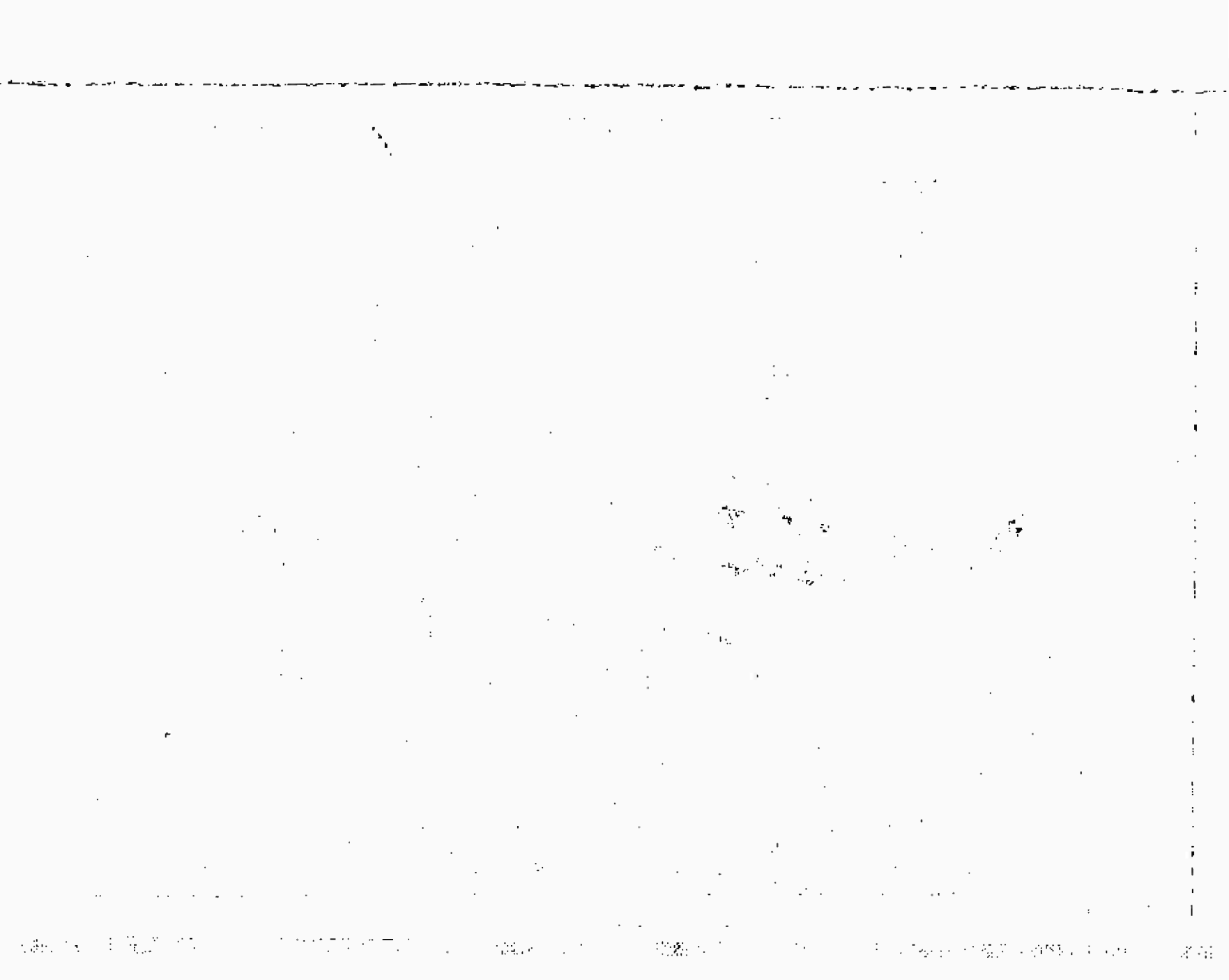

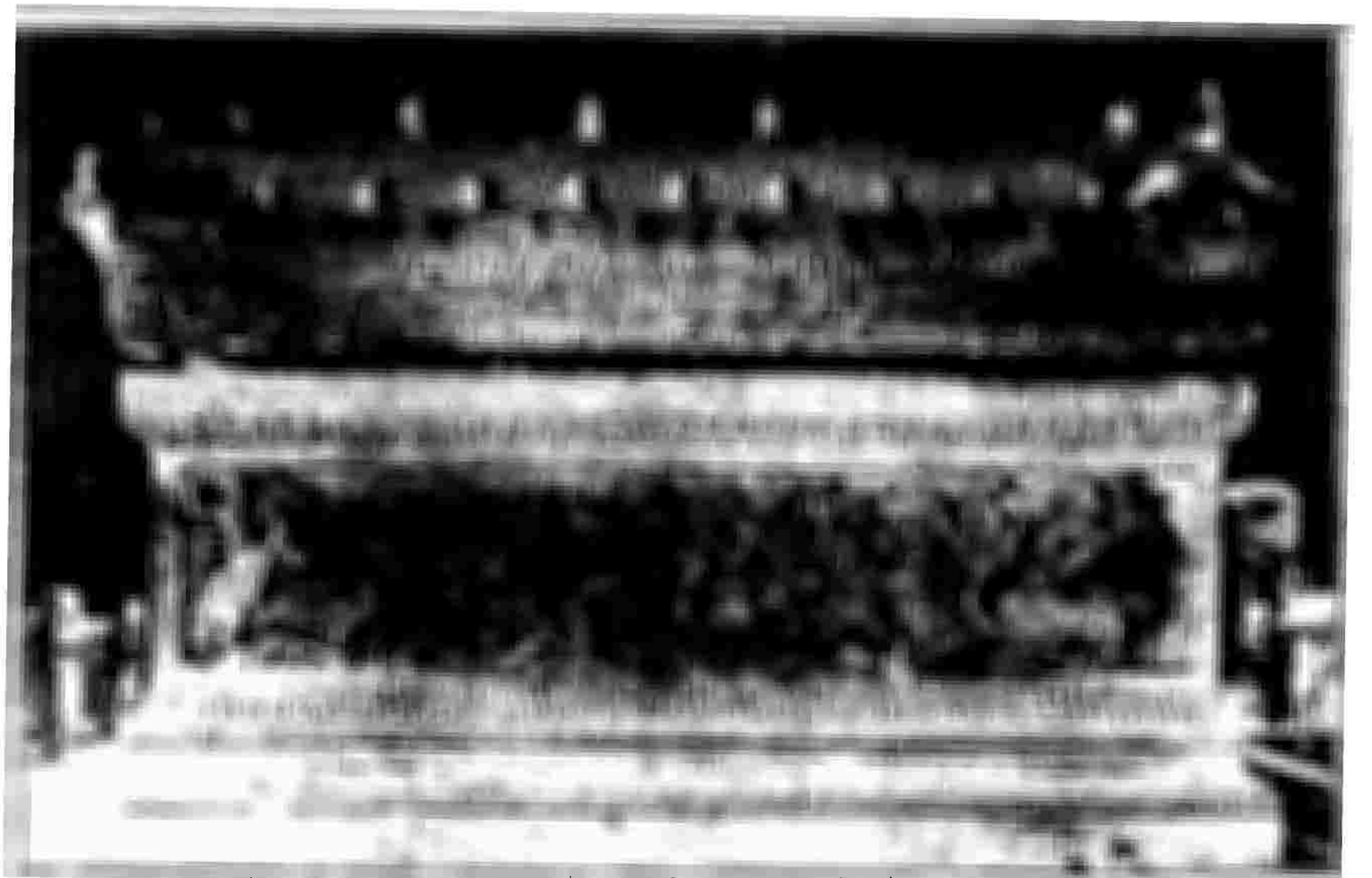

الشكل الثاني صورة من معارك الاسكندر المكدوني

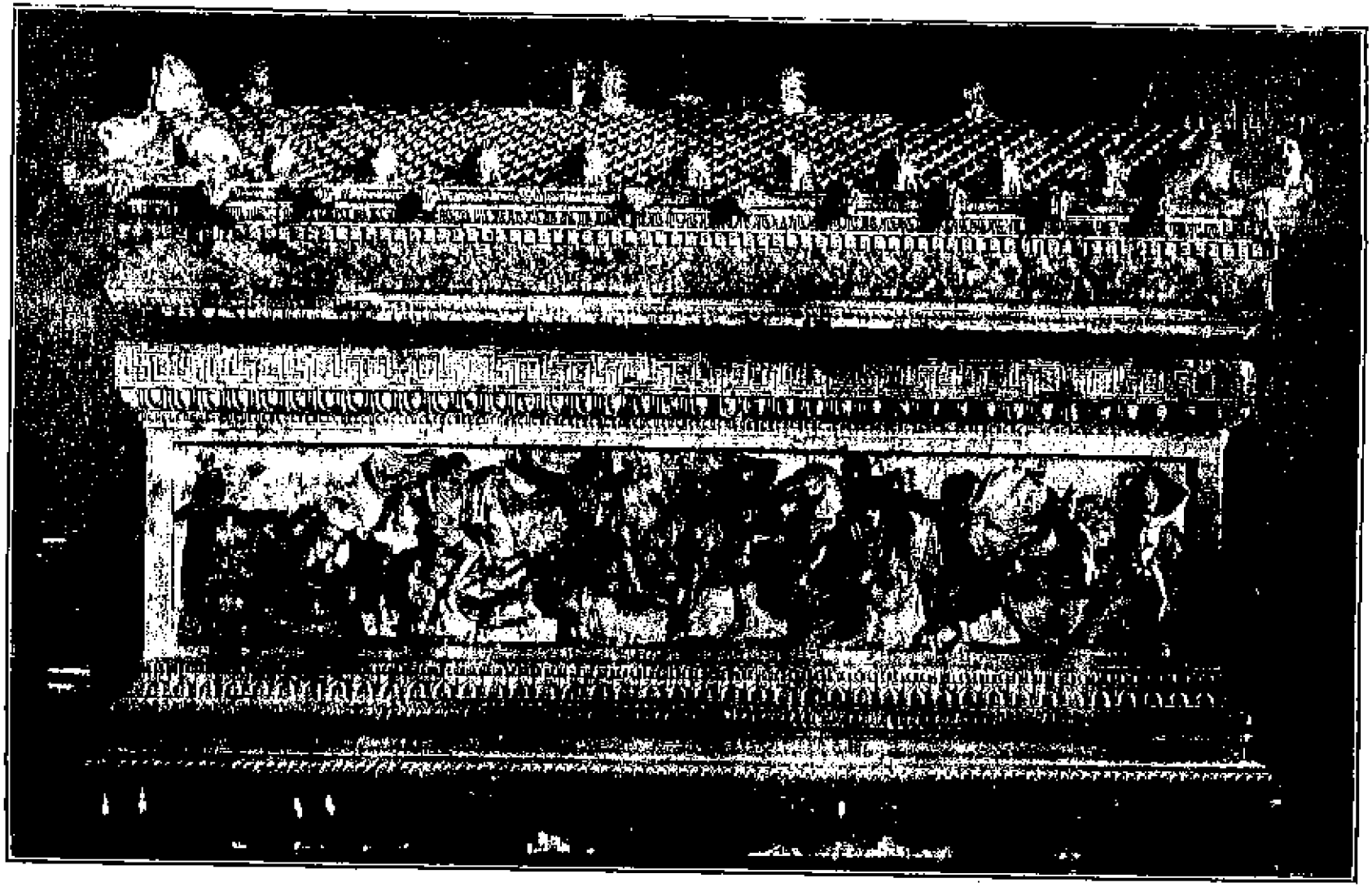

الشكل الثالث صورة الاسكندر في صد الاسد

المدافع البعيدة المدى

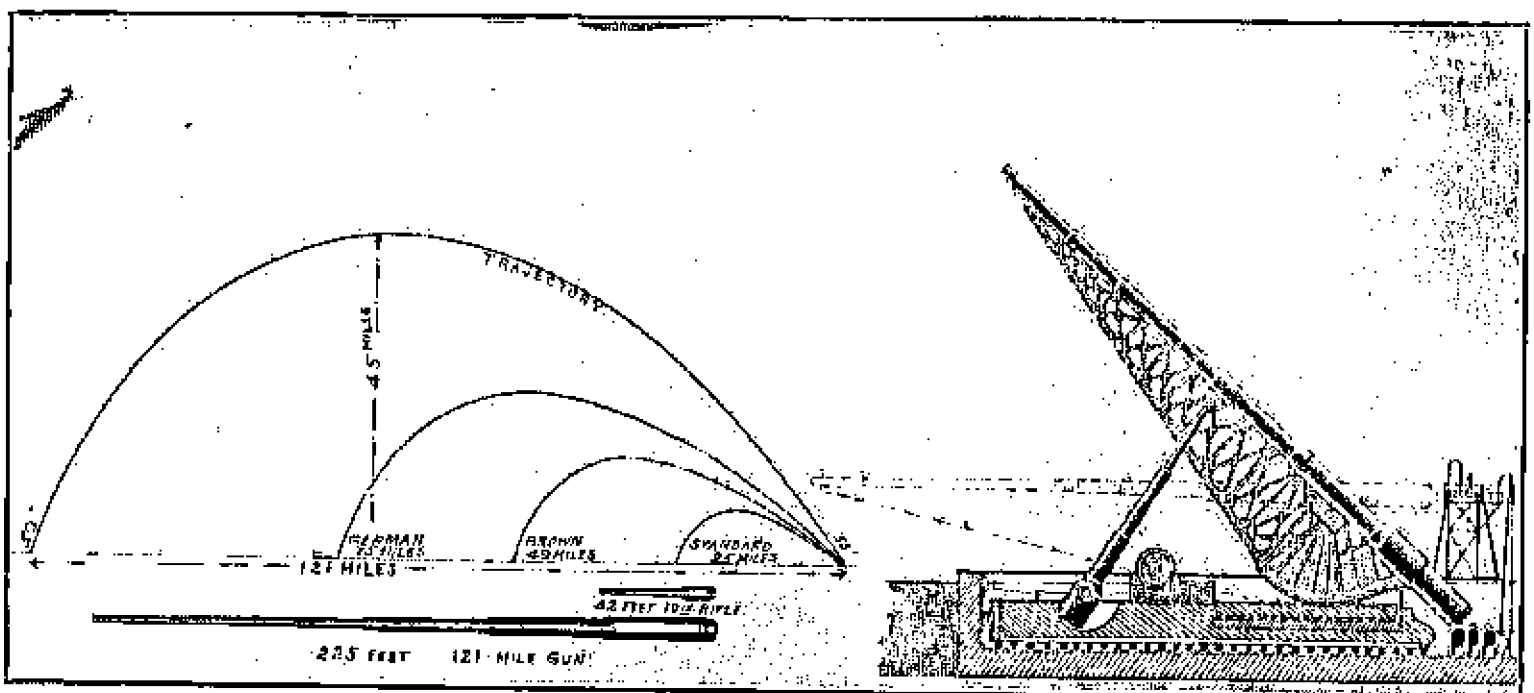

الرسم الاول

الرسم الثاني

مقتطف فبراير ١٩٢٢
امام الصفحة ١١٣